الكُوَيت

محاضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي (تابع)

١٠ (صيد اللؤلؤ في الكويت) اعلم ان اعظم تجارة ساحل الكويت بل وجميع الثغور الواقعة على خليج فارس هي تجارة اللآلئ. وهذه متوقفة على استخراج محارهِ (١ من البحرين ويحق لكل انسان من اهل ساحل خليج فارس ان يستخرج الدرّ الّا انهُ لا يتمكّن من ذلك الّا الأغنياء عربا كانوا او هنادكة (٢ او فرسا فيبتني احدهم لهُ «بومًا» (٣ كبيرًا أو صغيرًا بموجب راس مالهِ ويستأجر لهُ أجراء قبل اوان

---

١) المحار جمع محارة بفتح الميم والحاء المخففة واهل الكويت وما جاورها من العراق يشدّدونها وهي دابّة تكون بين صدفتين والصدفة نفسها. واهل خليج فارس ولاسيّما الكويتيون يسمّون ما كان منها كبيرًا بالصُدَيفة ويلفظونها «صُدَبيّ» وهي صيغة مصغرة يراد بها التكبير. وبالعربيّة الفصيحة الدُرّ وبالفرنسية «paragonnes»

٢) الهندكي غير الهندي. اما ما قال الدرب انهُ لا فرق بين الاثنين فوهمٌ: «الجوهري والساغاني: الهنادكة: الهنود والكاف زائدة على غير قياس» (عن التاج في ه ن د ك) امّا الصحيح فبينهما فرق. قال اليزه ركلو (Elisée Reclus) في كتابهِ عن البلدان المئون باسم: «Nouv. Géog. Universelle. — IX, Asie Antér. p. 71» ما معرّبهُ: «اشهر مثل الطبقة الوسطى من اهالي افغانستان هم الهنادكة والقزلباش. امّا الهنادكة (وبالفرنسية les Hindki او الهندُو les Hindous. فهم جميعًا على الغالب اصحاب بيع وشراء ورهون وفي ايديهم ثغور اشغال الافغان ومتاجر اختلاطهم...» وبعبارة أخرى: «الهنود» (les Indiens) سكّان الهند الحقيقية وامّا «الهنادكة» فهم اجلاف الهنود او اهل «هندستان». قلتُ: والكاف في هندكي للتحقير او التصغير في الفارسية لا للنسبة كما هو مقرّر في كتب نحو هذه اللغة

٣) البُوم وتجمع على أبوام نوع من السُفُن البحريّة في خليج فارس لا تكون الّا شراعية وتكاد تكون محدّدة المؤخّر واما اذا كانت عريضتهُ ومقوّر الوسط فتسمّى «بَنْلة» باسم الحيوان الشهير المتولد من الحمار والفرس. واما اذا كان المؤخر غير مقوّر الوسط فيسمّى «سُنْبكًا» وهو الذي كان يسمّى من القديم سُنْبوقًا او سُنْبوكًا. قال في التاج: السُنْبوق زورق صغير يُعمل في سواحل البحر وهي لغة جميع اهل سواحل بحر اليمن. وقال عن السُنْبوك بالكاف في الآخر: السنبوك السفينة الصغيرة. حكاهُ الزمخشري في الكشاف. وهي لغة الحجاز. ونقلهُ الخفاجي في شفاء الغليل وقال انهُ ليس من الكلام القديم. وحملهُ على الحجاز من سنبك الدابّة». اه. قلتُ: والاصحّ

الصيد باربعة او خمسة أشهر فيتخذ له مثلاً ٣٠ اجيراً مع ناخذاة ويدفع لهم مالاً معلوماً على حسابهم بتزلة عربون ويجري عليه الربا على حساب ٢٠ في المائة او ازيد. فاذا جاء موسم استخراج اللآلئ (وهو من ١٥ نيسان الى ١٥ تشرين الاوّل) ركب التوتية ذلك اليوم مع الناخذاة والتاجر نفسه او وكيله وساروا به الى محل معلوم يُشير به عليهم الناخذاة المذكور. فينزل ستّة منهم في البحر والبقية يكونون في اليوم وبعد ٥٠ او ٦٠ ثانية (وربّما بلغ الغائص الماهر المتمرّن ٨٠ او ٩٠ ثانية) يُخرَجون. واذا خرج الاوّلون نزل الآخرون وهكذا الى آخر الملّاحين. والغائص يبتدئ بهذه المهنة الشاقّة من السنة الثانية عشرة من عمره. وطعام الغوّاص شيء زهيد من التمر مع كسرة من الخبز عند الظهر واماً في العشاء فياكلون ارزاً مطبوخاً وهو المسمّى «بلاو». اماً الناخذاة فلا ينزل ابداً وكذلك التاجر او وكيله

وكلّما اخرجوا محاراً ألقوه في بطن اليوم وعند المساء قبل ان يلبسوا ثيابهم ويتناولوا عشاءهم يجتمعون كلهم ويفتحون المحار وهم عُراة خوفاً من ان يخفوا شيئاً وبعد ان يفتحوها يستخرجون منها اللآلئ فيودعونها علبة واماً الصدف فيلقونه في التمر وبعد ان تجمع الدُرر في الصندوق المذكور يُقفَل بمفتاحين الواحد يبقى بيد الناخذاة والآخر بيد التاجر. والملّاحون يفعلون هذا الفعل الى ان تنقضي مدة الموسم. فاذا تمّت يجتمع البحريّون والناخذاة والتاجر واول شيء يفتحون به شغلهم ان التاجر يتقدّم ويأخذ خمس اللؤلؤ أجرةً لبومه. ثم يقسم ما بقي قسمين: النصف الاوّل ياخذهُ التاجر ايضاً استيفاء لتسليفه اياهم الدراهم. والنصف الثاني يُقسم على الملاحين على الوجه الآتي: ياخذ الناخذاة حصّتين والغوّاص حصّة واحدة والسَنبُ (اي الذي يجرُّ الغوّاص من البحر) نصف حصّة

فترى من هذا كلّه ان الغوّاصين لا يربحون شيئاً او يربحون شيئاً لا يُذكر مع

ان اللفظة قديمة في خليج فارس ترتقي الى قبل الاسلام وليست عربية التجار ولا من الحجاز بل هي تعريب σαμβύκη اليونانية وقد تكلّم العرب بناء هذه السفن من اليونان حينما احتلّوا جُزُر هذا الخليج وجزر بحر عمان الخ. والسَنبوك (بفتح السين في الاصل اليوناني كما في اللفظ الحالي العربي) هو نوعٌ من العود (sambuque) وهو ايضاً آلة من آلات الحرب تُتّخذ في الحصار وفي الحروب البحريّة وتُبنى على هيئة هذا العود ومن ذلك اسم السفينة من باب المشابهة

انهم هم الذين يتعبون اكثر من سواهم وربما خسروا واصبحوا مديونين للتاجر مع كدهم هذا الشاق فما هم اذن الا عبارة عن جماعة من الاسرى بل قل من المجرمين يتصرف بهم الاغنياء في تلك الأقطار على ما يشاؤون وكيفما يشاؤون وبقدر ما يشاؤون. واما هم فلا يخسرون الا بعض الاحايين وذلك يكون حينما يُرى المحار الذي يستخرجونه لا يحوي شيئاً او يحوي شيئاً زهيداً. اما اغلبهم فانهم يستغنون بقليل من الزمان ويصبحون اصحاب ثروة طائلة اذا وافقتهم الظروف

اما لؤلؤ جوار الكويت فكثير نفيس الا ان كثرة الحيوانات المفترسة البحرية وتردُّدها اليه تمنع الجميع من الدنوّ منهُ او من النزول في مائهِ واستخراج دُرَرهِ

اما لآلئ خليج فارس فهي دون لآلئ جزيرة سيلان وجزائر يابان في نصاعة بياضها الا انها اضخم من هذه واحسن وانظم منها شكلاً ولهذا يطلق عليها اسم « الدُرّ ». والدرّ بحقيقة معنى اللفظة لا يُوجد في الجزائر المذكورة. ويبقى تالي لآلئ خليج فارس الى ما شاء الله. اما لآلئ سيلان الناصعة فلا تبطئ ان تزول منها ألقتُها ولاسيما في البلاد الحارة. واما لآلئ البحرين فيُضرب بها وبحسنها المثلُ وهي شهيرة من قديم الزمان وكثيراً ما تفضّل على اخواتها الخارجة من بطون تلك البحور الغربية. بل وتُفضّل ايضاً على تلك من الجهة الطبيّة ولهذا فانك ترى كثيراً من السفوفات والمعاجين والاقراص والجوارشنات التي تستحضرها العرب والأعجام في تلك الرُبوع يدخلها مسحوق اللؤلؤ. وشيخ الكويت يُلهَم كل يوم بعد صلاة الفجر وعلى الريق سَفوفاً مركباً من سحيق الياقوت ودقيق الحاكة (١ وقدر هذا السفوف يختلف

---

١) الحاكة بحاء موحدة فوقية ثم الف هاوية وكاف وهاء هي الشَبَثُ عند فصحاء العرب وبالفرنسية semences اي حبّ اللؤلؤ او اللؤلؤ الدقيق الحبّ. والحاكة كلمة فارسية من « خاك » اي تُراب او دقيق التراب. واهل خليج فارس من العرب ينطقون بكثير من الالفاظ الفارسية الاصلي لمجاورتهم هؤلاء الاعجام

ويجدر بنا ان نذكر ما جاء في لغة العرب من الالفاظ الدالّة على اللؤلؤ او ما هو بمعناها او متعلق بها مما يدلُّ على أن العرب قد اهتمّوا باستخراج اللآلئ منذ قديم الزمن. فمن ذلك: الجَرامِس وهو الجمان. والجُمّان وهو اللؤلؤ والصدف. والجُمان وهو اللؤلؤ او هَنَوات على اشكال اللؤلؤ تكون من فضّة او خرز بيض بناء الفضة. والحُمّص وهو اللؤلؤ. والحَضَل وهو اللؤلؤ والدُرُّ الصافي. والخُوض وهو اللؤلؤ. والخريدة وهي اللؤلؤة لم تُثقب. والدرُّ وهو اللؤلؤ

بين الغرام والغرامين بل قد يزيد وينقص حسب حالة صحته . وهكذا يفعل اغلب الاغنياء الذين في ثغور خليج فارس

وصيد اللؤلؤ لم ينقص في الخليج كما نقص في سائر الارجاء التي ينشأ فيها هذا الحيوان الثمين فانهُ يشتغل في هذا الصيد اكثر من ٨٠ ألف رُجل وهم يركبون ما يزيد على ٨,٠٠٠ بُوم. ويبلغ سعر الغاص ١٣,٠٠٠,٠٠٠ فرنك في كل موسم. فيصيب كل واحد ١٥٦ فرنكاً لا غير

اما طريقة الغوص فلم تتغير عن حالتها الاولى فانهم يشدُّون في رِجل الغوَّاص حجرًا ثقيلًا ويشدُّون منخريه بشداد من القرن وأذنيه بشيء من الشمع فيهوي على هذه الصورة البسيطة الى عمق ١٠ امتار او ٢٠ او ٣٠ مترًا. ومن بعد ان يبقى في الماء ٥٠ او ٦٠ دقيقة او غير ذلك على ما ألمنا اليه قبيل هذا يحرك الحبل فيصعد الى فوق. ومن بعد ان يستريح يعود الى عمله هذا المحفوف بالاخطار من ٨ الى ١٠ مرات وربَّما ١٢ مرَّة. وفي قعر الخليج تكثر الكواسج وسائر الاسماك الفاتكة بحياة الانسان كابي سيف ونحوه. ويبلغ عدد الذين تتلفهم الاسماك ٣٠ في السنة وربَّما زاد هذا القدر في بعض السنين. اما احسن لؤلؤ البحرين وانصعهُ بياضًا فيوجد قريبًا من ينابيع الغَور ويزعم العرب ان المادة التي تكوِّن اللؤلؤ والصدف تأتي من الماء العذب وكلما ازدادت السماء مطرًا غزيرًا استبشروا بصيد وافر

هذا ما يختصّ بالملاحة والنياحة واما التجارة فهي بيد جميع الاغنياء من اهالي الكويت وتكون على الوجه الآتي: اذا حان ميقات موسم التمر اشترى التجَّار كميَّات وافرة من هذا التمر وحملوها على سفن شراعية وذهبوا بها الى الهند فيقايضونها هناك باموالٍ اخرى من انسجة وأثاث وادوات افرنجية ونحو ذلك ثم حملوها على تلك السفن ورجعوا بها الى الكويت فيبيعونها بالدراهم. والذي يفعل ذلك هم التجَّار انفسهم وربَّما اتخذوا لهم وكلاء وهو نادر

واما الصرافة فلا توجد بغير ايدي اليهود. وهم يكسبون من ورائها اموالًا طائلة

الكبير. والمَشْخَلَبة وهي خرز بيض تشابه اللؤلؤ. والشَّذْر وهو اللؤلؤ الصغار. والعِثْب وهو حبُّ اللؤلؤ. والفريدة وهي الجوهرة النفيسة والدرَّة. والقَضَب وهو الدرُّ الرطب. والمَرْجان وهو معروف ايضًا صغار اللؤلؤ. وغير ذلك من الالفاظ الكثيرة وما هذه الا بعض من عدّها

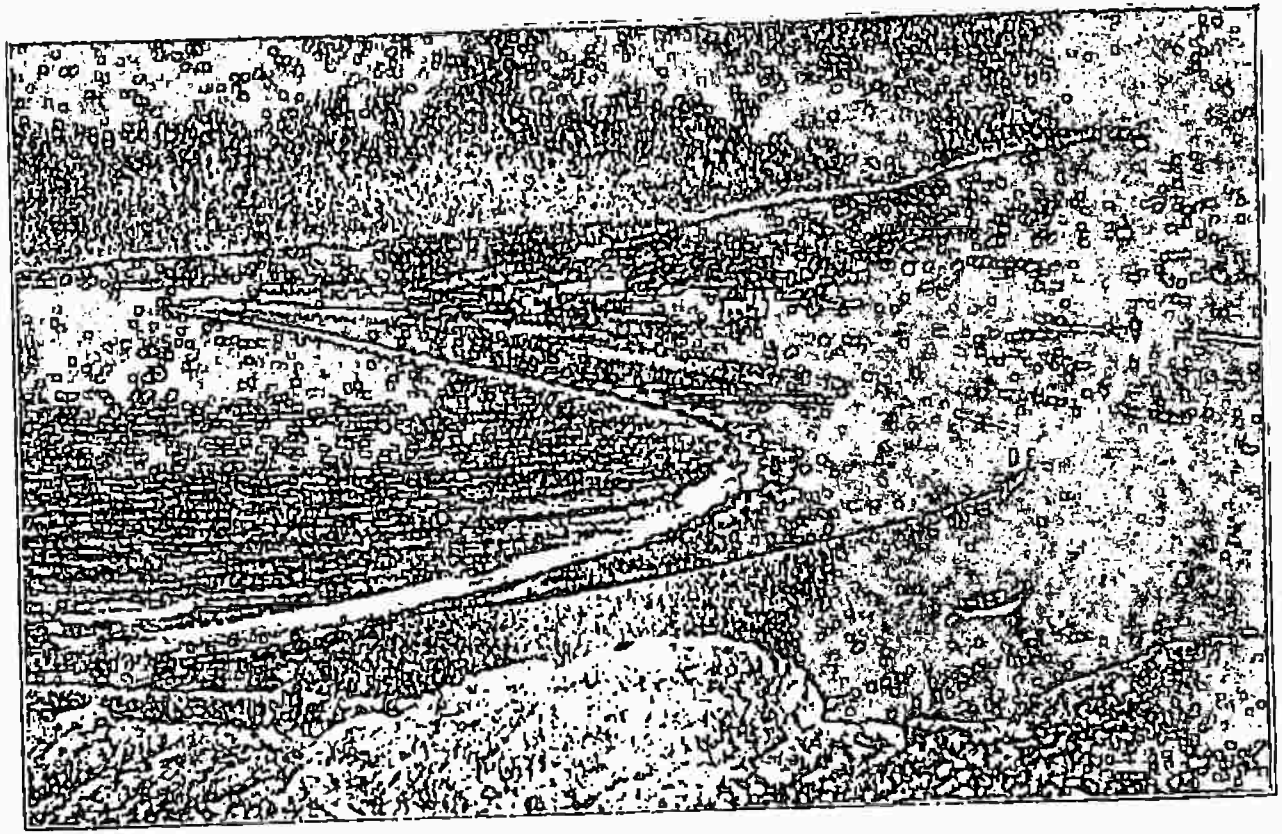

السد عند مدخل نهر ابراهيم

تكاد لا تقدَّر. وهم في ذلك يجرون على الصورة الآتية: ان قيمة كل نقد من النقود تتبع اتفاق الصيارفة اليهود. فقد يكون النقد الواحد اليوم في سعر وفي الغد بسعر آخر وذلك انهم ينظرون الى ما يكثر منها فاذا كان بهذه الحالة اهبطوا أسعارها الى ما يوازي ٥٠ سنتيماً من النقود الانجليزية الى ٥٠ سنتيماً تبعاً لنوعية معدنها وتكثرها وسعرها في ذلك اليوم. فاذا كانت مثلاً من النقود الصغيرة النحاسيَّة او الشَبَهيَّة او الفضيَّة لا يسقطون منها الَّا شيئاً طفيفاً والَّا اسقطوا منها شيئاً معدوداً. وهم في اثناء ذلك يحتكرون ذلك النوع من الورق فاذا قلَّ واصبح الكل بايديهم حمَّلوها علاوةً بالنسبة المذكورة

ولهم طريقة اخرى للانتفاع من الصرافة وهي: ان تجار الكويت كثيراً ما يحتاجون الى حوائل للهند وبلاد ايران وكما انهم لا يقبلون الحوائل والقراطيس الماليـة والسفاتج يُجبَرُون على ارسالهـا نقوداً مضروبة. فاذا عرف اليهود موسم جميع النقود المرغوبة رَقَّوا اسعارها وربَّما دُفع الريال بدلاً من الرُبيَّة اي انهُ يُنزل عُشر من سعر الريال وترتفع الرُبيَّة ما يوازي عشرها. وعلى هـذا الوجه يكسب اليهود في حوالة زهيدة المبلغ ربحاً فاحشاً. وشيخ الكويت لا يُقاوم هذا السُحت ولا يُنكل باليهود ابداً. وزد على ما تقدَّم ان صيارفة اليهود يحتكرون في موسم اللؤلؤ جميع الرُبيات لان اسعارها تهبط وقتئذٍ وترتفع بعد انقضائه

١١ (تجارتها) قد ذكرنا اغلب ما يتعلَّق بهذا الفصل في المادة السابقة فبقي علينا ان نذكر التتمة هنا فنقول من صادراتهـا الجصّ فانهُ مشهور في جميع ثغور الخليج وكان يبعث منهُ مقادير وافرة الى الحمَّرة والبصرة الَّا انهُ في اخريات هذه الأيام منعت الدولة الانكليزيَّة اصداره لغايات في صدرها. ومن تلك الصادرات السمك واشهره الزُبيدي وهو لذيذ فاخر. ويخيَّط النبيّ وغيرهما. ويُبعث من كل ذلك كميَّات عظيمة الى داخل بلاد العرب. ومما يدخل بلب الصادرات الجياد النجديَّة الكريمة الاصيلة فانهـا تُرسل الى الهند على طريق الكويت ويبعث منهـا سنويًا من ٥٠٠ الى ٨٠٠ راس في السنة ويباع الواحد منها من ٥٠٠ الى ٣٠٠٠ روبية (١

(١) ومما يُتَّجر به في داخل الكُوَيت ويُباع بكميَّات عظيمة «الطرائث» وهي تنبت في تلك الاراضين من نفسها وهي تدخل في اغلب ادويتهم لتقوية معدهم. والطرثوث: نبت يؤكل

ومن اهل الكويت من هم متوسطو الحال والمال فيبيعون ويشترون مع القبائل التي تأتي هذه البلدة افواجاً متموجة من نجد وداخلية بلاد العرب فيبيعونهم الاطعمة والالبسة اللازمة كالحبوب بانواعها والقطاني باجناسها والأنسجة والاعبية والبُنّ والتبغ ونحوها التي تؤتى من بلاد الهند وايران والعراق. امّا القبائل فتبيعهم حواصل اغنامهم وانعامهم وغزواتهم واغلب الذين يتعاطون بيع ذلك هم اليهود العجميّ الاصل الذين اكثرهم من ابي شهر (بو شير) وقد توطّنوا الكويت من عهدٍ غير بعيدٍ

١٢ (صناعتها) قد سبقنا فقلنا ان لا صناعة في الكويت ما خلا ما عددناهُ من بعض المهن. الّا انهُ لا يجوز لنا ان نسكت عن صناعة اهلها الوحيدة وهي بناية السفن من الانواع الثلاثة المعروفة هناك وهي: الأبرام والبغال والسنابك. امّا خشبها فيؤتى بهِ من الهند (لهُ تتمّة)

رسم المجاري النهريّة في لبنان.

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقي

انّ ما سبق وصفهُ عن نهر ابراهيم والسهل المتكوّن عند مصبّهِ يقودنا الى الكلام عن «الانهار العاملة» كما سمّاها المؤرخ هيرودوت متلطفاً. ولا مشاحّة فان للمياه الجارية عملاً متضاعفاً فانّها اذا ما اخربت من جانب عمّرت من جانب آخر وما سحتهُ من احد الامكنة نقلتهُ الى محلّ غيرهِ حيث يرسب ويتراكم بقدر ما حفر وجرف في مسيرهِ. وانّما جَرْف الانهار ودمارها اظهرُ للعيان واوقع في القلوب لانّ قسماً كبيراً من الموادّ الراسبة يخفى عن النظر في عمق البحار

والانهار اللبنانية من الانهار العاملة فانّها استحقّت هذا الاسم بما واصلتهُ من العمل

وهو رمليّ طويل مستدقّ كالقطر يضرب الى الحمرة ويبيس وهو دباغ المدة. وهو ضربان قثّهُ حلو وهو الاحمر ومنهُ مُرّ وهو الابيض وكلاهما لا ورق لهما (ملخّص من التاج). وقثّهُ يسمّى بالفرنسية cynomorion